هوامش

نحو ستة أشهر عصيبة عاشها مغتربو قطاع غزة في الصين على وقع تداعيات الحرب التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي على القطاع، لتُنكأ جراحهم وتتضاعف أحزانهم

فقدت غالبية عائلات غزة أفرادا (أشرف ابو عمرة/ الاناضول)

غزيون في الصين

شهر رمضان ينكأ جراح المغتربين

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

اعتاد عدد كبير من المغتربين على العودة إلى قطاع غزة في شهر رمضان لقضاء فترات منه مع ذويهم، لكنّ أيّاً منهم لم يتمكن من فعل ذلك هذا العام بسبب العدوان الإسرائيلي، ويزيد الألم فقد عدد كبير منهم أفراداً من عائلته والعديد من أصدقائه الذين كان يحيي معهم هذه الأيام المباركة في أجواء من الدفء والطمأنينة.

يقيم حازم السوافيري، في مدينة كوانجو جنوبي الصين منذ نحو عشرين عاماً، وفقد في الثالث من ديسمبر/كانون الأول الماضي 27 فرداً من أسرته في استهداف إسرائيلي لمنزل العائلة في مدينة غزة، وخلال الاقتحام الأخير لمجمع الشفاء الطبي، فقد الاتصال بمن تبقى من أفراد أسرته، وهو لا يزال يحاول الاتصال بهم للاطمئنان عليهم. يقول السوافيري لـ«العربي الجديد»: «اعتدنا في المأساة أن نقول بأي حال عدت يا عيد، لكننا اليوم نقول بأي حال عدت يا رمضان. حجم الألم والصدمة أكبر من ترف البكاء على الأطلال، وتسارع الأحداث لا يتيح لنا فرصة للحزن. تلقيت قبل أشهر قليلة عبر مواقع التواصل الاجتماعي نبأ استشهاد أمي أم إيهاب، وأخي محمد وزوجته وأولاده، وأختي رنين وأولادها، وزوجات إخواني. تمكن الأهل والجيران من انتشال جثامين بعضهم ودفنهم، والبقية ما زالوا تحت الأنقاض. هؤلاء ليسوا أرقاماً، فكل منهم له قصة وأحلام وطموحات». يضيف: «كنت قد زرتهم قبل الحرب بأيام قليلة، وقضينا معاً أوقاتاً جميلة، وبعد أن غادرت القطاع بيومين اندلعت الحرب، ومنذ ذلك الحين أعيش في قلق لا يكاد يتوقف لحظة واحدة. في كل مرة أجلس مع عائلتي الصغيرة في الصين حول مائدة الإفطار يعتصرني الألم. في مثل هذه الأيام كان يفترض أن نجتمع معاً تحت سقف واحد، لكن للأسف هذا السقف انهار عليهم، لأبقى وحيداً أتجرع مرارة الفقد والحرمان».

يقيم المهندس أحمد ناصر في الصين منذ سنوات طويلة، ويقول إن الشعور بالعجز وقلة الحيلة يطارده، ويحاول التحكم في سير الحياة اليومية رغم الإحساس بالذنب مع كل لقمة يحاول أن يستسيغها في رمضان، بينما أهله في قطاع غزة لا يجدون الماء النظيف للشرب. يضيف لـ«العربي الجديد»: «أتجاهل مشاعري وأتفرغ لمشاهدة الأخبار ومتابعة مجريات الأحداث علها تحمل أملاً هنا أو انفراجة هناك. على مدار أيام الحرب، تتسارع دقات قلبي مع كل استهداف من الطيران أو الدبابات، ومع كل خبر أشعر بالقلق على أهلي وأصدقائي ومعارفي هناك». يتابع ناصر: «نزح والداي أبي وأمي المسنّان بعد استهداف مدرسة مجاورة لمنزلنا في مدينة غزة، وحين تكلمني هاتفياً تحاول طمأنتي، لكني أستحضر معاناتهم الحالية بسبب النزوح، والبقاء في مدارس إيواء لا يتوفر فيها الحد الأدنى من مقومات الحياة، وهي تفاصيل وصور نتابعها يومياً عبر وسائل الإعلام وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، ورغم ذلك أفاجأ بأن اهتمامات الوالدة تختلف عن توجهات الوالد في هذه اللحظات الفارقة، فأمي تحاول أن تطمئن ابنها المغترب بأن حياتهم طبيعية، في حين أن أبي لا يمل من تكرار وصاياه لي في حال وقوع مكروه له بالحفاظ على إخوتي من بعده، وعندها أصاب بشرخ في قلبي يمتد إلى أطرافي».

يدير محمد شتات، مكتباً تجارياً في جنوب الصين منذ سنوات، وفي نهاية يناير/كانون الثاني الماضي، فقد شقيقه رامي، والذي أصيب في القصف، وتعذر خروجه من القطاع لتلقي العلاج ما أدى إلى وفاته. يقول لـ «العربي الجديد»: «يتضاعف في رمضان الشعور بالفقد والحرمان، فالأسرة التي كانت تجتمع حول مائدة الإفطار باتت مشتتة بين أماكن متفرقة في القطاع، ونصف العائلة نزح إلى الجنوب، وبعضهم ظل في المنطقة الوسطى، وهناك أفراد فقدنا الاتصال بهم بسبب سوء خدمات الإنترنت». يواصل: «يعاني المغترب مأساة مضاعفة، فقد حُرم العديد من التجار الغزيين من العودة إلى القطاع بسبب ظروف الحرب، خصوصاً من اعتادوا في كل عام على العودة إلى ديارهم لقضاء شهر رمضان بين أهلهم وذويهم، كما نشعر بالعجز لأننا غير قادرين على فعل شيء، ولا سبيل للمواساة سوى باستحضار معاناة الآخرين ومأساتهم، فمن فقد فرداً من أسرته يحمد ربه أن البقية ما زالوا على قيد الحياة، فهناك عائلات مُسحت من السجل المدني، وشهداء دفنوا في الطرقات، وأطفال مجهولو الهوية بسبب استشهاد أهلهم وذويهم، وهناك أسرى، وجوعى، وكل هذا يترك الكثير من الألم والحسرة والحزن في عيون الأصدقاء الغزيين المغتربين في الصين وقلوبهم، لكننا لا نملك سوى الدعاء بأن يمدنا الله بالثبات والصبر ويربط على قلوبنا».

تجدر الإشارة إلى أن معدّ هذا التقرير واحد من الغزيين المقيمين في الصين، وقد فقد والدته قبل أيام بعد أن اشتد عليها المرض في ظل الحرب والحصار وتكرار النزوح عقب الاستهداف المباشر لمنزل أسرته، واستشهاد أربعة من أبناء عمومته.

باختصار

حازم السوافيري: حجم الألم والصدمة أكبر من ترف البكاء على الأطلال، وتسارع الأحداث لا يتيح لنا فرصة للحزن

■■■

أحمد ناصر: أشعر بالذنب مع كل لقمة أتناولها في رمضان، بينما أهلي في قطاع غزة لا يجدون الماء النظيف للشرب

■■■

محمد شتات: الأسرة التي كانت تجتمع حول مائدة الإفطار الرمضانية باتت مشتتة بين مناطق متفرقة في القطاع

وأخيراً

كافح ولو بالذاكرة!

سعدية مفرح

ولو بالذاكرة.. ولو بالتذكّر وحده ينبغي أن نكافح. هذه القضية يجب أن تظلّ الحضور الأوّل في حياتنا عرباً ومسلمين، وبشراً مؤمنين بفلسطين وطناً حرّاً للفلسطينيين.

والذاكرة الحيّة واحدة من أدواتنا المتاحة في هذه المعركة المستمرّة ضدّ الدعاية الصهيونية الجبّارة، وضدّ ما يريدون فرضه علينا وعلى الأجيال الجديدة، من خلال تعزيز فكرة النسيان، نسيان القضية وتاريخها وأصلها وفصلها وحدودها، ومَنْ تسبب بها، ورموزها، وكلّ المفردات التي تشير إليها بوصلةً نهائيةً، وما ينبغي أن نفعله من أجلها اليوم وغداً أيضاً.

بقدر استيائي من المقطع الذي انتشر أوّل شهر رمضان المبارك هذا العام، مجتزأً من مسلسلٍ عربي هَزْليّ تستعير فيه إحدى الممثلات مقولةَ لأمّ من أمهات غزّة المكلومات وهي تبحث عن طفلها يوسف، وتصفه: «أبيضاني وشعره كيرلي وحليوه»، كنتُ أيضاً سعيدةً بردود الفعل الشعبية الغاضبة الواسعة على هذا المقطع الذي أُدرج في المسلسل جلباً للطرافة واستحضاراً للمفارقات الدرامية أو لإحداث حالة من التفاعل التي تؤدّي إلى مشاهدات كثيرة وحسب، كما يبدو.

لقد اجتاحت غضبة الناس على هذا المشهد التلفزيوني الذي حاول النيلَ من جلال المشهد الواقعي ووجع الأم فيه، كلّ وسائل التواصل الاجتماعي. وتواصلت الانتقادات بشكلٍ أعاد إلى الأذهان تفاصيل المشهد المؤلم إلى واجهة الحدث بما يليق به.

مقطع الأم الغزّاوية الواقعي ظهر في الشهر الأوّل لـ«طوفان الأقصى»، وهذا يعني أنّ ستة أشهر تقريباً لم تكن كافية لنزع المقطع من الذاكرة الجمعية أو تغييبه عن الوجدان، وبقي حاضراً هناك، في خلية من خلايا الذاكرة، وإن اختفى من الواجهة مؤقّتاً. صحيحٌ أنّ ستة أشهر لا تُعدّ وقتاً طويلاً، نسبياً، ولكن من الجميل أن تسكن مثل هذه العبارة التي قالتها أم تبحث عن طفلها الضائع وسط فوضى القصف والتدمير الصهيوني في غزّة من دون اهتمام من يصور أو يسجّل لحظتها في الذاكرة، لتبقى. لقد أذيعت تلك اللقطة في سياق كثير مما نُشِر ويُنشَر عن «الطوفان» وقبله، قبل أن تتوارى قليلاً عن الشاشات لتترك مكانها لمشاهد أخرى كثيرة من المصدر نفسه، من قلب الحدث في غزّة، وها هي الآن تعود من جديد لتثبت أنّ الشعب العربي، رغم كلّ الخذلان الذي يعيشه، والعجز الذي يستشعره، والضعف الذي يسري في أوصاله، والقيود التي تكاد تشلّ حركته على الأرض، والحواجز التي تقف حائلاً بينه وبين غزّة، ما زال قادراً على الفعل، ولو على سبيل تعزيز الذاكرة بكلّ ما يثريها ويجعلها قادرة على القيام بدورها في المقاومة. نعم، من المهمّ جداً أن نبقى، في أوقات العجز الكبير والخيبة العظيمة والشعور بعدم القدرة على فعل شيءٍ من أجل الانتصار لفلسطين، قادرين على التذكّر وعلى حماية ما شاهدناه بأعيننا من عوامل النسيان والتناسي.

> مهمٌّ أن نبقى، في أوقات العجز الكبير والخيبة العظيمة والشعور بعدم القدرة على فعل شيء من أجل الانتصار لفلسطين، قادرين على التذكّر

نحتاج كلّ مساحة متاحة في الذاكرة لكي نستغلها في سبيل ما ينبغي أن يكون زاداً لمبادئنا ولأفكارنا، وأيضاً، وقوداً لأمنياتنا وأحلامنا وطموحاتنا حتى تبقى على قيد الحياة في وسط هذا الموات الذي يحيط بنا من كلّ جانب.

على كلّ واحد منا دائماً الاحتفاء بكلّ خلية من خلايا ذاكرته. عليه ألا يستهلكها في زحام المشاعر والأشياء والمشاهد والمرئيات. ومهما حدث، عليه ألّا يقترب من تلك المساحة المخصّصة لفلسطين كي تبقى دائماً في الوجدان حيّة لا تموت، وتبقى دائماً حيّة رغم كلّ القصف المستمرّ الموجّه نحوها من الأعداء ومن «الأعدقاء» أيضاً.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**